

## سبب الحرب العدوانية الروسية في أوكرانيا

سبب الحرب في أوكرانيا هو خطط إعادة بناء الإمبراطورية من قبل القوة العدوانية و هي روسيا. وفي عام 2005، وصف الزعيم الروسي فلاديمير بوتين انهيار الاتحاد السوفييتي بأنه "أعظم كارثة جيوسياسية في القرن العشرين". وأعرب لاحقاً عن أسفه مرات عديدة لتصفية هذا الكيان الاستعماري الامبريالي. أثناء توقيعه على اتفاقيات ضم المناطق الأوكرانية دونيتسك ولوهانسك وخيرسون وزابوروجي، صرح مرة أخرى أن انهيار الاتحاد السوفييتي كان "كارثة وطنية" زُعم أنها "مزقت وحدتنا الوطنية". كما لو أن البريطانيين أيضاً أعربوا أن أسفهم بسبب انهيار إمبراطوريتهم.

ويحاول بوتين أن يفرض نسخه الاستعمارية من التاريخ على روسيا، بأنها "روسيا المقدسة"، التي شاءها الله لغزو الدول المجاورة. وفي هذا السياق، ادعى أن أوكرانيا "ليست مجرد دولة مجاورة لنا... إنها جزء لا يتجزأ من تاريخنا وثقافتنا وفضاءنا الروحي". وكمية الحقيقة في هذا القول كما لو قلنا بأن الدول التي نشأت بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية ليست مجرد دول مجاورة لتركيا، ولكنها جزء لا يتجزأ منها. وكما أن أياً من العراقيين لن يوافق على هذا التوجه، فإن الأوكرانيين يرفضون كلمات بوتين. إن أطروحة القائلة بأن الأوكرانيين هم "الروس الصغار" جزء من الأمة الروسية العظيمة هي مجرد صفة على وجه الأوكرانيين.

ولم تعط أوكرانيا ولا أي دولة أخرى روسيا أي سبب للخوف على أمنها. ومنذ بداية غزوها، ظلت روسيا تكذب في هذا الأمر، مستخدمة استبيانات متعددة، منها: في الشرق الأوسط، وخاصة في العراق، فيما يتعلق بالغرب وحلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية. ومن الجدير بالذكر أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945، لم يهاجم أي بلد روسيا، على الرغم من أنها فعلت ذلك مرات عديدة. واحتل الاتحاد السوفييتي الذي تهيمن عليه روسيا مثلاً بولندا في الفترة 1945-1993، وغزت المجر في عام 1956 وتشيكوسلوفاكيا في عام 1968، ناهيك عن غزو أفغانستان والعديد من الاعتداءات الاستعمارية الإمبريالية الأخرى.

بولندا، مثل العديد من دول أوروبا الوسطى الأخرى، على الرغم من الضرر الهائل الذي لحق بها من قبل روسيا، حاولت الحفاظ على علاقات ودية معها على أساس الاحترام المتبادل والمعاملة المتساوية. ومع ذلك، فإن روسيا لا تريد أن تكون دولة طبيعية، بل إمبراطورية. ولم يهدد أحد على الإطلاق أراضي روسيا وسيادتها وسلامة أراضيها. وينطبق هذا أيضاً على حركات التحرر الوطني في المستعمرات الروسية، أي المناطق التي تم احتلالها بشكل رئيسي في القرن التاسع عشر، والتي لا علاقة لها بروسيا ثقافياً وعرقياً وتاريخياً، على سبيل المثال الشيشان وبورياتيا وكالميكيا وغيرها. ورغم أن الوضع الاستعماري لهذه المناطق يعد ظلماً تاريخياً، إلا أنه من أجل بناء علاقات ودية مع روسيا، قررت الدول اعتباره من شؤون روسيا الداخلية.

لكن هذا لا يكفي بالنسبة لروسيا. إنها تعتقد أن الدول ذات السيادة التي كانت ذات يوم جزءاً من إمبراطوريتها يجب أن تكون تابعة لها. وينطبق هذا بشكل خاص على أوكرانيا، فضلاً عن بيلاروسيا، ولكن أيضاً على بولندا والعديد من البلدان الأخرى. ومن هذا المنظور، تعتبر روسيا الحد من مجال نفوذها الإمبراطوري من خلال القرارات السيادية للدول المتحررة من نيرها بمثابة "هجوم" على نفسها. ولا يمكن لأية دولة حرة أن تقبل مثل هذا النهج.

## ضمانات استقلال أوكرانيا والانفصالية الموالية لروسيا

لم يكن انهيار الاتحاد السوفييتي في عام 1991 نتيجة للحرب أو الضغوط الخارجية، بل تم الاتفاق عليه من قبل زعماء روسيا السوفييتية وبيلاروسيا وأوكرانيا في اجتماع عقد في بياوفيجا في ديسمبر 1991. وهكذا ولدت أوكرانيا من جديد كدولة مستقلة. وفي الاستفتاء الذي أجري آنذاك، أيد 90% من الناخبين الاستقلال، وبلغت نسبة المشاركة 84%. في المناطق الأوكرانية التي تحتلها روسيا حالياً، كان 84% في لوهانسك وأبلاست، و77% في دونيتسك وأبلاست، و90% في خيرسون وأبلاست، و54% في شبه جزيرة القرم يؤيدون الاستقلال. ولم تعترف روسيا دون تحفظ باستقلال أوكرانيا فحسب، بل واعترفت أيضاً بحدودها. فضلاً عن ذلك فقد وقعت في ديسمبر/كانون الأول 1994 على مذكرة بودابست، التي أعلنت فيها نفسها ضامناً لوحدة أراضي أوكرانيا في مقابل تخلي أوكرانيا عن ترسانتها النووية.

ظهرت النزعة الانفصالية الموالية لروسيا فجأة في عام 2014، عندما قررت روسيا معاقبة أوكرانيا بسبب سعيها إلى تحقيق قدر أكبر من الاستقلال. لم يكن الأمر يتعلق على الإطلاق بخطة قبول أوكرانيا في حلف شمال الأطلسي، لأن العديد من أعضاء الناتو عارضوها، وبالتالي كانت غير واقعية على الإطلاق. ولكن حتى لو انضمت أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي، فإن الأمر يتعلق بقرارها السيادي وقبولها لأعضاء آخرين في حلف شمال الأطلسي، وليس مسألة إمبراطورية عدوانية تغتصب حق اتخاذ القرار بشأن الآخرين. وينبغي لشعب العراق أن يفهم ذلك. في عام 2014، خرج الأوكرانيون إلى الشوارع للاحتجاج على الحكومة الموالية لروسيا، حيث سافروا بشكل متزايد إلى بولندا المجاورة ورأوا الفجوة بين الطريقة التي يعيش بها البولنديون وكيف يعيشون. أراد الشباب الأوكراني بشكل خاص أن يتطوروا وأن تكون لهم آفاق مثل غيرهم من الأوروبيين، ولهذا السبب أرادوا أن تبدأ أوكرانيا في الاندماج مع الاتحاد الأوروبي. وعندما اغتنمت السلطات الموالية لروسيا هذه الفرصة، جفت مرارتهم، فقرروا الاحتجاج والإطاحة بالرئيس آنذاك. أراد الأوكرانيون الإندماج مع الهياكل الاقتصادية (لم يفكر أحد قبل العدوان الروسي في أي أسلحة غربية أو حلف شمال الأطلسي). هل يمكنك إلقاء اللوم عليهم؟ ألا يريد الشباب العراقي أيضاً أن يعيشوا حياة أفضل؟

ومع ذلك، لم تكن النزعة الانفصالية المذكورة مرتبطة بأي أقلية قومية تسعى إلى الاستقلال، لأنه لم تكن هناك أبداً دولة دونيتسك أو لوهانسك أو جزيرة القرم (القومية الوحيدة في هذه الجزيرة هي التتار، الذين يدعمون أوكرانيا). منذ البداية، كان هدف "الانفصالية" هو سرقة الأراضي الأوكرانية وضمها إلى روسيا، وفرض نظام موالي لروسيا على أوكرانيا. تم تنظيم "الانفصالية" من قبل عملاء أجهزة الأمن الروسية والمرزقة والجنود الذين تم إرسالهم إلى شبه جزيرة القرم ودونيتسك ولوهانسك. وقد أطلق عليهم اسم "الرجال الخضر الصغار" لأنهم كانوا يعملون بزي رسمي بدون علامات، وهو ما يتعارض مع القانون الدولي. إن نشاط جنود دولة أجنبية على أراضي دولة أخرى يعد غزواً مخالفاً لميثاق الأمم المتحدة، وهذا هو بالضبط ما كان يعمل "الرجال الخضر الصغار" على أراضي أوكرانيا. كانت أوكرانيا أضعف من أن تقاوم في ذلك الوقت. وأدى الحكم الفاسد للرئيس الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش إلى تفكك الجيش وتسلسل الخونة إليه. وقد أطاحت ثورة شعبية ببيانوكوفيتش نفسه في عام 2014 وفر من أوكرانيا إلى روسيا خوفاً من المسؤولية الجنائية. وتدعي روسيا الآن أنها لا تزال الرئيس الشرعي، على الرغم من إجراء الانتخابات في أوكرانيا عدة مرات في هذه الأثناء.

## العدوان الروسي

لذلك غزت روسيا أوكرانيا في عام 2014 والحرب مستمرة منذ ذلك الحين. وتقاتل أوكرانيا من أجل استعادة وحدة أراضيها التي ضمنتها روسيا في عام 1993، وليس لديها أي مطالبات إقليمية في الأراضي الروسية. كما أنه لا يريد تغيير الحكومة في روسيا أو التدخل في شؤونها الداخلية. وفي الوقت نفسه، تغتصب روسيا هذا الحق في أوكرانيا. بأي حق؟ القانون الوحيد المعروف لروسيا: قانون القبضة.

في 24 فبراير 2022، شنت روسيا غزوًا واسع النطاق لأوكرانيا. وفي الوقت نفسه، ومن أجل تضليل الرأي العام العالمي، وصفت غزوها بأنه "عملية خاصة" وأقنعت العالم بأنها ليست في حالة حرب مع أوكرانيا. لكن هذه المرة واجهت مفاجأة غير سارة، حيث لم تبد مقاومة حازمة من قبل الجيش الأوكراني فحسب، بل من قبل الشعب الأوكراني بأكمله أيضًا.

كان العدوان الروسي منذ يومه الأول وحشيًا جدًا. وتعرضت المباني السكنية التي ليس لها أهمية عسكرية للقصف، ناهيك عن البنية التحتية المدنية التي توفر للسكان إمكانية الوصول إلى الكهرباء والغاز والمياه. ومع ذلك، عندما أدركت روسيا أن سكان أوكرانيا معادون بالتأكيد للعدوان، فقد نفذت هجمات عمدا بحيث يكون هناك أكبر عدد ممكن من الضحايا. وكان المقصود منه العقاب من ناحية، ومن ناحية أخرى ترهيب الأوكرانيين ودفعهم إلى الاستسلام. وبما أن هذا لم ينجح أيضًا، قررت روسيا ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية. ولهذا الغرض ارتكبت مجازر بحق المدنيين، منها: في بوكرا وهوستوميل وإيربين، حيث قُتل أكثر من 400 شخص بوحشية في مارس 2022. ولم تكن هذه جرائم عشوائية، بل ارتكبت على أساس قوائم التي أعدتها السلطات الروسية.

وهذه ليست الجرائم الروسية الوحيدة التي ارتكبت خلال غزو أوكرانيا. وتكثفت بعد أن فشلت روسيا في تنفيذ أهدافها العسكرية الأصلية، وعلى وجه الخصوص، خسرت معركة كييف. كان من المفترض أن يسمح احتلال العاصمة الأوكرانية، إلى جانب هروب السلطات أو قتلهم، بإحضار يانوكوفيتش إلى كييف وتنصيبه هناك كرئيس للنظام الموالي لروسيا، باعتباره السلطة القانونية المفترضة. ومع ذلك، لم يحدث شيء، وبقيت السلطات الأوكرانية، برئاسة الرئيس فولوديمير زيلينسكي، في كييف وأدارت الدفاع. لقد كانت معركة أوكرانيا ضد روسيا غير متكافئة منذ البداية، ومع ذلك اضطر الجيش الروسي المحبط إلى الانسحاب من جزء كبير من الأراضي المحتلة. في نوفمبر 2022، حررت القوات المسلحة الأوكرانية خيرسون، إحدى المدن الإقليمية الأربع المحتلة.

والقوات الروسية ليست مسؤولة عن جرائم القتل فحسب، بل أيضاً عن عمليات الاغتصاب الجماعي للنساء. علاوة على ذلك، فإن المرتزقة الروس، أي "الفاغنريين" سيئي السمعة، نفذوا إعدامات علنية، لا تقل وحشية عن داعش. ما الفرق بين تحطيم رأس بالمطرقة وقطعه؟ ما الفرق بين جرائم بوتشا وإربين والمجازر في سنجار أو معسكر سبايكر؟ وحاول تنظيم داعش تقجير سد في الموصل، لكن العملية أحبطت بعملية خاصة. وفي يونيو 2023 فجر الروس السد في نوبا كاتشوفكا، مما تسبب في فيضانات مساحات واسعة وكارثة بيئية. وكان الهدف من ذلك وقف الهجوم الأوكراني المضاد على شبه جزيرة القرم. واضطرت أوكرانيا إلى إجلاء ما يقرب من 40 ألف شخص من المناطق التي غمرتها الفيضانات، وأعاقت المياه المسكوبة المزيد من التقدم في الهجوم المضاد. كما خلق الروس تهديدًا بحدوث انفجار في محطة زابوروجي للطاقة النووية.

ومن الجرائم الأخرى التي ارتكبتها الروس في أوكرانيا اختطاف الجماعي للأطفال الأوكرانيين إلى عمق روسيا. لقد سُرقوا من والديهم، و يتم تعليمهم و تربيتهم كقوميين روس متعصبين يكرهون وطنهم. لقد حل هذا المصير بما يصل إلى 700000 طفل. ولهذا السبب تحاكم المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي الأشخاص الرئيسيين المسؤولين عن هذه الجريمة: الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وماريا لفوفا بيلوفا، اللذان قادا هذا العمل بشكل مباشر. وهذا يشبه أيضاً الأساليب التي يستخدمها داعش ضد الأطفال المأخوذون من سنجار، على سبيل المثال. كما ترون فإن المجرمين الكبار، سواء كانوا روساً أو داعش، يفكرون ويتصرفون بشكل مماثل.

عندما أدرك الروس أنهم لن يكونوا قادرين على احتلال أوكرانيا بأكملها، وأن سكان هذا البلد لن يغفروا لروسيا أبداً الهجوم نفسه والجرائم التي ارتكبت خلاله، قرروا سرقة أكبر قدر ممكن من أراضي هذا البلد. لذا فقد تخلوا عن الوهم القائل بأن هناك بعض الجمهوريات الانفصالية التي شعبها يناضل من أجل تقرير مصيرها، وقاموا ببساطة بضم المناطق التي تم احتلالها. ولإضفاء الشرعية عليه، أجروا استفتاءات وهمية. وكانت نتائجهم محددة سلفاً، وانقاد الناس تحت فوهات البنادق.

### محاولات روسيا إلحاق أفعالها إلى الآخرين

وفي الوقت نفسه، تستمر روسيا في الإشارة إلى أن بولندا تريد احتلال الجزء الغربي من أوكرانيا. علاوة على ذلك، اقترحت روسيا مرارا وتكرارا أن تبرم بولندا اتفاقا بشأن تقسيم أوكرانيا. كانت في الماضي معظم أراضي أوكرانيا تابعة لبولندا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وحتى عام 1939 كانت تضم 5 مناطق غربية تشكل أوكرانيا اليوم. ومع ذلك، رفضت بولندا بشدة هذه المقترحات لأنها، على عكس روسيا، تحترم وحدة أراضي الدول الأخرى. ومن المثير للسخرية أيضاً أن تزعم الدعاية الروسية أنها تقاتل "البانديين" في أوكرانيا. كلمة "بانديرا" تأتي من ستيفان بانديرا، الذي كانت حركته خلال الحرب العالمية الثانية مسؤولة ليس فقط عن القتال ضد الاتحاد السوفييتي ولكن أيضاً عن الهجمات على البولنديين (الإبادة الجماعية). لكن بولندا تحل مشاكلها مع جيرانها، خاصة تلك المتعلقة بتاريخها الأليم، بالطرق السلمية، وليس بالعنف والقتل والاعتصاب.

منذ الأيام الأولى للحرب، توافد اللاجئون الأوكرانيون بشكل جماعي على بولندا، هرباً من القنابل الروسية وجرائم القتل والاعتصاب. فتحت بولندا أبوابها على مصراعيها أمامهم، وكان عدد كبير من الفارين من الناطقين بالروسية. تدعي روسيا أن أوكرانيا اضطهدت المواطنين الناطقين بالروسية، والغريب أنهم فروا إلى بولندا. في المجلد منذ فبراير 2022، عبر أكثر من 15 مليون أوكراني الحدود البولندية، معظمهم من النساء والأطفال. صحيح أن معظمهم عادوا إلى أوكرانيا، لكن لا يزال هناك عدة ملايين من اللاجئين من أوكرانيا في مختلف البلدان الأوروبية. وينتظر معظمهم، حوالي مليوني شخص، نهاية الحرب في بولندا.

نتيجة للحرب في أوكرانيا، التي بدأها الهجوم الروسي، مات ما يقرب من 200-250 ألف شخص بالفعل. الناس، ومئات الآلاف من الجرحى. كما أدت الهجمة الروسية إلى دمار شامل، وتسبب الحصار المفروض على الموانئ الأوكرانية في مشاكل غذائية في العديد من البلدان. تواصل روسيا خداع جزء من الرأي العام العالمي بالادعاء بأنها تريد السلام. والمشكلة هي أنها إذا أرادت حقاً، فسوف تنسحب من الأراضي المحتلة في أوكرانيا. لكنه لا يفعل ذلك. لأن روسيا تفهم العديد من الكلمات



بشكل مختلف. بالنسبة لها فإن كلمة السلام تعني الاستسلام غير المشروط لأوكرانيا، التي ستخضع لروسيا الإمبراطوري والاستعماري.

Public task financed by the Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Poland within the grant competition “Public Diplomacy 2023”

The opinions expressed in this publication are those of the authors and do not reflect the views of the official positions of the Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Poland.



Ministry of Foreign Affairs  
Republic of Poland

---